قضايا إسلامية شائكة ١

«إن كيدهن عظيم»

مراودة امرأة العزيز

ليوسف الصديق عليه السلام

بين الأمس واليوم

محمد بدير عبد الباقي



(٢٣) سلسلة زاد المسافر

﴿إن كيدهن عظيم﴾

مراودة امرأة العزيز ليوسف الصديق عليه السلام

« بين الأمس واليوم »

تأليف

محمد بدير عبد الباقى

مدرس اللغة العربية بالأزهر

دار ابن لقمان للنشر والتوزيع

أسسها حسن البدوى - نبيل خالد

سلسلة زاد المسافر

اسم الكتاب: مراودة امرأة العزيز ليوسف الصديق عليه السلام

تأليف: محمد بدير عبد الباقى

رقم الإيداع: ١٧٣٥٧ / ٢٠٠٢م

الترقيم الدولى: I. S. B. N : 977 - 6039 - 66 - 9

ت: ٠١٢/٣٧٤٠٥٦٧١ ـ ٠١٢/٤٨٤٠٥٣٩

تصميم الغلاف: م علاء فتحى عجوة

دار الجزيرة للطباعة ـ المنصورة ـ

نوسا البحر ـ ت: ٠٥٠/٤٣١١٩١

الإخراج الفنى: صلاح بدير شبكة

جمع كمبيوتر / فـــاطمة منصور

المراجعة: الشاعر / السيد الخيارى

مونتاج أ / سعد عبد الحميد سعد

رئيس مجـــلس إدارة السلسلة: حسن البدوى.

فكرة السلسلة ورئيس التحرير: نبيل خـــالد.

الإشراف العـــــام والمتابعة: هـــدى عسكر.

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال:

« الكريمُ ابْنُ الكَريم ابْنِ الكريمِ ابْن الكَريمِ يوسُفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحَاق بن إبراهيم عليهم السلام».

فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر ص٦ ص٤٨٢ ط الريان.



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين أنزل الكتاب قرآناً عربياً، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين، وتحدى به أرباب البيان من خلقه إنساناً وجنًّا منفردين ومتظاهرين. **﴿قل لئن إجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾**.

وبعد...

فلقد شغلت كثيراً بقصة مراودة امرأة العزيز لسيدنا يوسف عليه السلام وهى من القصص الشائق الشائك فبدأت الكتابة فيه منذ سنة ١٩٩٤ غير أننى أتهيب التصدى لهذا الموضوع الدقيق الصعب الذى توارد عليه أئمة من علماء السلف والخلف أفنوا أعمارهم فى خدمة القرآن الكريم.... فتذكرت قول الرسول (ﷺ): « **بلغوا عنى ولو آية**».

إننى أجـاهد بكلمة طـيبة أحمل بـها منهج الله تعـالى: إلى الناس كافـة والله من وراء القصد، له سـبحانه الفضـل والمنة، ومنه التوفيق، وبه المستعان.

١٨ جماد أول سنة ١٤٢٣ هـ

٢٨ / ٧ / ٢٠٠٢م

محمد عبد الباقى

ت: ٤٣٢٦٩٧ / ٠٥٠. المنصورة

يوسُف أيها الصّديق

(مقدمة شعرية)

سقطت من جفونـها دمعة الشو
ق فصاحت مذعورة ويلتاه
فزعت كالذى علـى جـرف ها
رٍ فـذلت من رعـدة قـدماه
لم تـظن المأساة تسقط دمع الـ
ـعين هولاً، فحل ما تخشاه
أهيام بيوسف وهـو فى القصر،
فـتى بـات زوجـها مـولاه
صـممـت أن تحيد عنـه وتنـد
ك انهياراً إن أومضت عيناه
كم تنزت على الفراش تذود
السهد عنها فيستطيل مداه
ترتمى تـارة وتـقـعد أخرى
أى جمر فى صدرها تصلاه
كم تناست فما استطاعت وتمثا
لُ فتاها فى كل منحى تراه

مالىء عينها، كما يشرق البدر
وأبهى من الزهور حلاه

تتناسى! وكيف؟ والظمأ اللوّ
آحُ فى حلقها يشب لظاهُ

إنها الذّلة التى تقهر النفس
فترتاد موقفــــــا تأباه!

ربة القصر، لم تعد ربة القــــ
ـــصر ومن رهطها فتىً تهواه

قام عز السلطان سداوطمٌ الـ
سيل من خلفه فخارت قواه

فهوى السّد، لم تعد غير أنثى
ذات قلب يئز فيه شجاه

ليس يشفى أوارها غير طل
كوثرى تندى به شفتاه

تتناسى، وكل صبح إذا غا
ب ظلام، وإن تبدى ضحاه

حدثت نفسها تُنفس عن صدر
تداعى جوى بما أخفاه

يوسف يوسف، أنادي فيأبى
وبعيني توسل ما وعاه
ربما قدوعي فآثر صمتا
فله حدسه، وفيه حجاه
هو في سمته وضيء تراءى
في محيّاه كل سِرٍ طواه
هو في صمته رزين فما أعر
ف فيه تسرعاً كسواه
هو في نطقه نبيل حييّ
تتشهاه إن سمعت لغاه
ولسحر الجمال في وجهه البا
سم نور يشوي القلوب زهاه
القريب البعيد، أدعو فيدنو
ثم لا شيء حين تدنو خطاه
القريب البعيد، عزٍّ منالا
من يمني كوكب في علاه
هو في جده دءوب نشيط
ذو كفاح يؤوده مرماه

لم أجد يا فعا سواه تسامى
جليل الأمور منذ صباه

كم تطرفت فى الدعاية أدعو
ولكن تزمتت تقواه

كم تهورت فى الكنايات أبلو
فلم أسترح لما أبداه

يا لقلبى منه تقطع أفلا
ذا ولم يدر بعدُ ما عقباه

قد تماسكت إذا يلوحُ ولكن
آن أنْ يعلن الشجى هواه

د. محمد رجب البيومى
عميد كلية اللغة العربية سابقا

الفصل الأول

قال الله جلّ جلاله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

أى أن سيدنا يوسف عليه السلام قد أوتى صحة الحكم على الأمور، وأوتى علما بمصائر الأحاديث أو بتأويل الرؤيا، أو بما هو أعم من العلم بالحياة.

وجاء فى مفاتيح الغيب.

الأَشُدُّ مبلغ الرجل الحكمة والمعرفة.

وقال أبـو الهيـثم، واحدة الأشـد شدة كـما أن واحدة الأنـعم نعمة، والشدة، القوة والجلادة، والشديد الرجل القوى.

وقال ابن عباس فى قـوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ أى ثلاثاً وثلاثين سنة وهذا القول شديد الانطـباق على القوانين الطبية، وذلك لأن الأطباء قـالوا: إن الإنسان فى أول الأمر يـتزايد كل يوم شيئـاً فشيئا إلى أن ينتـهى إلى غاية الكمال، ثـم يأخذ فى التراجـع والانتقاص إلى أن لا يـبقى منـه شىء فكانت حـالته شبيهة بحـال القمر، فإنه يظهر هلالاً ضعـيفاً ثم لا يزال يزداد إلى أن يصـير بدراً تاماً، ثـم يتراجع إلـى أن ينتهى إلـى العدم والمحاق.

وعلى هذا: فمدة دوران القمر ثمانـية وعشرون يوما وكسر. فإن جعلت هذه الدورة أربعة أقسام، كـان كل قسم منها سبعة أيام. فلا جرم رتبوا أحوال الأبدان على الأسابيع، فالإنسان إذا ولد كان ضـعيف الخلقـة نحيف التركـيب إلى أن يتم لـه سبع سنين.

ثم إذا دخل فى السبع الثانية حصل فيه آثار الفهم والذكاء والقوة. ثم لا يزال فى الترقى إلى أن يتم له أربع عشرة سنة.

فإذا دخل فى السنة الخامسة عشرة دخل فى الأسبوع الثالث، وهناك يكمل العقل ويبلغ إلى حد التكليف وتتحرك فيه الشهوة.

ثم لا يزال يرتقى على هذه الحالة إلى أن يتم السنة الحادية والعشرين وهناك يتم الأسبوع الثالث ويدخل فى السنة الثانية والعشرين وهذا الأسبوع آخر أسابيع النشوء والنماء.

فإذا تمت السنة الثامنة والعشرون فقد تمت مدة النشوء والنماء وينتقل الإنسان منه إلى زمان الوقوف وهو الزمان الذى يبلغ الإنسان فيه أشده.

ثم إن هذه المراتب مختلفة فى الزيادة والنقصان.

فهذا الأسبوع الخامس الذى هو أسبوع الشدة والكمال يبتدئ من السنة التاسعة والعشرين إلى الثالثة والثلاثين، وقد يمتد إلى

الخامسة والثلاثين.

وقوله تعالى: ﴿ آتيناه حكما وعلما﴾

يقول الإمام فخر الدين: يحتمل أن يكون المراد من «الحكم» صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الأمارة بالسوء مستعلية عليها قاهرة لها ومتى صارت القوة الشهوانية والغضبية مقهورة فاضت الأنوار القدسية والأضواء الإلهية من عالم القدس على جوهر النفس.

والحكم والحكمة أصلهما حبس النفس عن هواها، ومنعها مما يشينها.

وقوله تعالى ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا . . ﴾

وهذه هي المحنة الثانية لسيدنا يوسف عليه السلام وهي أشد من الأولى وكان عليه السلام غاية في الحسن والجمال والهيبة والجلال، قال ابن مسعود: وكان وجه سيدنا يوسف عليه السلام مثل البرق، وكانت إذا أتته امرأة لحاجة غطى

وجه.

وكان فى غالب أمره مبرقعا لئلا يراه الناس.

وراودته.... إننا لنرى انفعالات وملامح هذه المرأة من خلال هذا اللفظ المعجز، وما كانت عليه من تهالك شديد خرق وقلب القاعدة العريضة، لأن الأصل أن المرأة منفعلة فاعلة لا فاعلة منفعلة بمعنى أن الرجل هو الذى يبدأ أولا ثم هى تستجيب شيئا فشيئا أى تنفعل له [1].

وهذه هى الطبيعة فى كل ذكر وأنثى أيًّا كان نوعهما.

ولكن امرأة العزيز لم تقلب القاعدة من هذه الناحية فحسب بل إنها قلبتها من جميع النواحى (شرعية وخلقية وطبيعية) لقد كانت المراودة فى هذه المرة مكشوفة، وكانت الدعوة فيها سافرة إلى الفعل الأخير... لأن حركة تغليق الأبواب لا تكون إلاّ فى اللحظة الأخيرة.

---

(١) أى فى الحلال بين الزوجين.

والمراودة لها معان كثيرة منها:

أ ـ المراودة المطالبة من راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطلب الماء والكلأ، وهى مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المدين... إلخ.

ب ـ ويجوز أن يراد بصيغة المفاعلة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت منه الفعل وهو طلب منها الترك.

جـ ـ ويجوز أن تكون من الرويد وهو الرفق والتجمل والمخادعة والمعنى خادعته عن نفسه أى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد اخراجه من يده وهو يحتال أن يأخذه منه.

والمعنى أن امرأة العزيز توسلت إليه بوسائل خفية، تحاول من ورائها أن تصل إليه غير أنها لم تكن صرحت بعد بما تطلب، ويوسف من جانبه كذلك لم يستطع أن يصرح بالصد

والرفض فلجأ إلى الصد الخفى، من ثم كان ذلك منهما مراودة، هى تهجم بتحفظ، وهو يفر من أمامها بتحفظ كذلك.

قوله تعالى: ﴿ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ قيل أنها غلقت سبعة أبواب ثم دعته إلى نفسها والسبب فى التغليق أن ذلك العمل لا يؤتى به إلا فى المواضع المستورة لا سيما إذا كان حراما ومع قيام الخوف الشديد، وشُددت اللام فى الفعل **(وغلّقت)** لنرى من خلالها شدة حرصها وإحكامها للأبواب كلها لتطمئن هى من جهة، ولتزيل عن نفس يوسف الرهبة والخوف ـ كما تصورت ـ من جهة أخرى....

حتى نكاد نسمع صوت الأبواب وهى تغلق فى عنف وإحكام عليها وعليه، أملا فى إزالة ذلك الحاجز القائم بينها وبينه... فنرى رغبة المرأة الجامحة مسفرة معراه من كل شىء فى نداء صريح عنيف، تنزل به نفسها من مقام السيادة، إلى درك الخضوع والاستسلام..

﴿ وقالت هَيْتَ لَكَ ﴾ (١)

وهذه دعـوة صريـحة صارخـة من امرأة الـعزيـز، وهذه الدعوة لا تكون أول دعوة إنما تكـون هى الدعوة الأخيرة. وقد لا تكون أبداً إذا لم تضطر إليها المرأة اضطراراً.

حيث نجد المرأة فى أشد حـالات الرغبة والاستسلام، إذ لا تصل إلى درجة التصريح تلك إلا إذا كانت الرغبة قد استبدت بها كل الاستبداد. . . فلم تجد بُدا من أن تعلنه فى صراحة تامة عما تريد منه « هيت لك » أنت لا لغيرك تهيأت هذا التهيؤ من زينة وثياب وإعداد المكان.

والفتى يـعيش معها وفتوتـه تتكامل، وأنوثتهـا هى كذلك تتكـامل وتنضـج، فلا بد كانـت هناك إغراءات شـتى خفيـفة

(١) ورد فى الآية أكثر من قراءة، ١ـ (هِيتَ) بكسر الهاء وفتح التاء ٢ـ (هَيْتُ) مثل حَيْثُ . ٣ـ (هِئْتُ لَكَ) بكسر الهاء وهمز الياء وضم التاء مثل جِئْتُ من تهيأت لك.

قال الواحدى: هيت لك اسم للفعـل نحو: رويدا وصه ومه ومعناه هلم فى قول جميع أهل اللغة.

لطيفة، قبل هذه المفاجأة الغليظة العنيفة...

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾..

أى أعيذ نفسى بالله أن أفعل وأستنجد بالله وأطلب العون والعصمة من الله جل جلاله.

وهذا جواب ورد من يوسف عليه السلام على هذا التهيؤ من امرأة العزيز، وذكر فيه ثلاثة أشياء.

١ ـ قوله تعالى ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾.

٢ـ قوله تعالى ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾.

٣ـ قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

وهذا الترتيب فى غاية الحسن، وذلك لأن الانقياد لأمر الله تعالى وتكليفه أهم الأشياء لكثرة إنعامه وألطافه فى حق العبد.

ـ فقوله تعالى: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ إشارة إلى أن حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل، وأيضا حقوق الخلق واجبة الرعاية، فلما

كان هذا الرجل (العزيز) قد أنعم فى حقى، إذن يقبح مقابلة إنعامه وإحسانه بالإساءة، وأيضا صون النفس عن الضرر واجب. وهذه اللذة لذة قليلة يتبعها خزى فى الدنيا، وعذاب شديد فى الآخرة والعقل يقتضى تركها والاحتراز عنها.

ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (١).

هذه الآية تكاد تكون من المتشابهات فى البحث والتوضيح

---

(١) جاء فى الفتوحات الإلهية جـ٢ صـ٤٤٥ ط الحلبى.

قوله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ لام قسم أى قصدت منه الجماع أى مع العزم والتصميم ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك بمقتضى الطبع البشرى من غير رضا ولا عزم ولا تصميم والقصد على هذا الوجه لا مؤاخذه فيه.

أ.هـ شيخنا وفى البيضاوى المراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا. القصد الاختيارى وذلك مما لا يدخل تحت التكليف...

وقال بعض المحققين: الهم همان هم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امرأة العزيز فالعبد مؤاخذ به، وهم عارض وهو الخطرة فى القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف.

فالعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل به.

وقد دار حولها جدل كبير فى الماضى والحاضر بين العلماء فمنهم من جادل بالباطل ومنهم من جادل بالحق وعن روية. يقول صاحب التفسير الكبير:ـ

اعلم أن هذه الآية من المهمات التى يجب الاعتناء بالبحث عنها وفى هذه الآية مسائل:

(المسألة الأولى).

فى أنه عليه السلام هل صدر عنه ذنب أم لا؟ وفى هذه المسألة قولان.

القول الأول:

أن يوسف عليه السلام هم بالفاحشة. (قال الواحدى) هم يوسف أيضا بهذه المرأة هماً صحيحاً وجلس منها مجلس الرجل من المرأة ، فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة عنه.

وعن ابن عباس قال: حل الهميان وجلس منها مجلس

الخاتن، وعنه أيضا أنها استلقت له وجلس بين رجليها ينزع ثيابه.

ثم إن الواحدى طول فى كلمات عديمة الفائدة فى هذا الباب، وما ذكر آية يحتج بها ولا حديثا صحيحا يعول عليه فى تصحيح هذه المقالة. وما أمعن النظر فى تلك الكلمات العارية عن الفائدة.

روى أن يوسف عليه السلام لما قالت امرأة العزيز **﴿ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب﴾** قال جبريل عليه السلام: ولا حين هممت يا يوسف؟ فقال يوسف عند ذلك **﴿وما أبرىء نفسى﴾**.

ثم قال: والذين أثبتوا هذا العمل ليوسف كانوا أعرف بحقوق الأنبياء عليهم السلام وارتفاع منازلهم عند الله تعالى من الذين نفوا الهم عنه.

فهذا خلاصة كلام الواحدى فى هذا الباب.

القول الثانى:

أن يوسف عليه السلام كان بريئا عن العمل الباطل. والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين، وبه نقول وعنه نذب.

اعلم أن الدلائل الدالة على وجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام كثيرة ولا حاجة إلى بسطها إلا أننا نزيد ههنا وجوها.

الوجه الأول: أن الزنا من منكرات الكبائر، والخيانة فى معرض الأمانة من منكرات الذنوب، وأيضا مقابلة الاحسان العظيم بالاساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد **أيضاً** من منكرات الذنوب، وأيضا الصبى إذا تربى فى حجر إنسان وبقى مكفىّ المؤنة مصون العرض من أول صباه إلى زمان شبابه وكمال قوّته فإقدام هذا الصبى على إيصال أقبح أنواع الإساءة إلى ذلك المنعم من منكرات الأعمال.

الوجه الثاني:

أنه تعالى قال في غير هذه الواقعة ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ وذلك يدل على أن ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه، ولا شك أن المعصية التي نسبوها إليه أعظم أنواع المعاصي وأفحش الفحشاء فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئا من السوء مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء.

الوجه الثالث:

أن كل من كان له تعلق بتلك الواقعة قد شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية. والذين لهم تعلق بهذه الواقعة:

١ـ يوسف عليه السلام ٢ـ تلك المرأة زوجها

٣ـ النسوة ٤ـ الشهود.

ورب العالمين شهد ببراءته من الذنب، وإبليس أقر ببراءته أيضا عن المعصية، فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا

الباب.

أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ و ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾

فالسجن عند يوسف عليه السلام والنوم على التراب أحب إليه من الأحضان الدافئة والنوم على الحرير.

وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت للنسوة ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ وأيضا قالت ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ .

وأما بيان أن الزوج أقر بذلك فهو قوله تعالى ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾.

وأما الشهود فقوله تعالى ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ . . . الآية

وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ .

فالحق سبحانه وتعالى شهد فى هذه الآية على طهارته أربع مرات .

١ـ قوله تعالى ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ واللام للتأكيد والمبالغة

٢ـ قوله تعالى ﴿ وَالْفَحْشَاءَ﴾ .

٣ـ قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ .

٤ـ قوله تعالى ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ [1] .

وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته، فلأنه قال ﴿ فَبِعِزَّتِكَ

(١) وفيه قراءتان تارة باسم الفاعل أى (المُخْلِصين) من الفعل أخلص وأخرى باسم المفعول وهى القراءة المشهوره .
ـ فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتياً بالطاعات مع صفة الإخلاص .
ـ وورروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته .
وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزها عما أضافوه إليه .

﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف من المُخلَصين لقوله تعالى ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ فكان هذا إقرارًا من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريق الهدى.

وعند هذا نقول: هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته [(١)]، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته، ولعلهم يقولون: كنا في أول الأمر تلامذه إبليس إلى أن تخرجنا عليه فزدنا عليه في السفاهة، كما قال الخوارزمي:

وكنت امرءاً من جند إبليس فارْتَقَى

بي الدهرُ حتى صار إبليسُ من جُندِي

(١) الضمير يرجع إلى يوسف عليه السلام.

فلو مات قَبْلي كـنـتُ أُحسِنُ بَعْدَه

طَرائق فسقٍ ليس يحسنُها بعــدي

فثبت بهذه الدلائل أن يوسف علـيه السلام بريء عما يقوله هؤلاء الجهال.

وبعد هذا نجد الكلام على ظاهر هذه الآية يسير فى اتجاهين

الاتجاه الأول:

هو أنـنى لا أسلم ولا أقـول بأن يوسف عـليه السـلام همَّ بها.

وآية ذلك أو دليل ذلك أنه تعالى قال﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فجواب﴿ لَوْلا﴾ مقدم، وهو كما يقال:

(قد كنت مـن الهالكين لولا أن فلانـا خلصك). [1] وقد

(١) ولقد سبقنى فى هذا الإمام فخر الدين محمد الرازى. وطعن الزجاج فى هذا الجـواب من وجهـين. الأول: أن تقديم جـواب ﴿لولا﴾ شاذ وغـير موجود فى الكلام الفصيح. =

يعنُ لنا سؤال هو أنه لو لم يوجد الهم لما كان لقوله تعالى ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة . والعبد لله يقول فيه أعظم الفوائد، وهو أنّ ترك الهم بها ما كانَ لعدم رغبته فى النساء وعدم قدرته عليهن، بل لأجل أن دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل. وهو بهذا ربط بين البشرية العادية والغير عادية ربط بين البشرية وبين النبوة أو عصمة الأنبياء.

= الثانى. أن «لولا» يجاب جوابها باللام، فلو كان الأمر على ما ذكرتم لقال: ولقد همت وهم بها لولا.

وما ذكره الزجاج بعيد جداً، لأنا نسلم أن تأخير جواب ﴿لولا﴾ حسن جائز، إلا أن جوازه، لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب، ولقد نقل عن سيبويه أنه قال: [إنهم يقدمون الأهم فالأهم، والذى هم بشأنه أعْنى، فكان الأمر فى جوازه التقديم والتأخير مربوطاً بشدة الاهتمام.

وأما تعيين بعض الألفاظ بالمنع فذلك مما لا يليق بالحكمة. وذكر جواب لولا باللام جائز، وهناك آية تدل على فساد قول الزجاج وهو قوله تعالى ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ (القصص: ١٠).

الاتجاه الثانى فى الكلام على هذه الآية:

أن نقول إذا ما سلمنا أن الهم قد حصل إلا أنَّا نقول: إن قوله تعالى﴿ وَهَمَّ بِهَا﴾ لا يمكن حمله على ظاهره، والمراد أنه عليه السلام همَّ بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك القبيح لأن الهم هو القصد، فوجب أن يحمل فى حق كل أحد على القصد الذى يليق به، فاللائق بالمرأة القصد إلى تحصيل اللذة والتنعم والتمتع، واللائق بالرسول المبعوث إلى الخلق القصد إلى زجر العاصى عن معصيته وإلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

يقال همت بفلان أى بضربه ودفعه.

ـ فإن قالوا: فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله تعالى ﴿ لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة؟.

قلنا: بل فيه أعظم الفوائد وتتضح فى الآتى:

١ـ أنه تعالى أعلم يوسف عليه السلام أنه لو هم بدفعها

لقتلته أو لكانت تأمر الحاضرين يقتله، فأعلمه الله تعالى أن الامتناع من ضربها أولى صوناً للنفس عن الهلاك.

٢ـ أنه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلقت به فكان أن يتمزق ثوبه من قدام، وكان فى علم الله تعالى أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من الخلف لكان يوسف هو الخائن ولو كان العكس لكانت المرأة هى الخائنة، فالله تعالى أعلمه بهذا المعنى، فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولىّ هارباً عنها، حتى صارت شهادة الشاهد حجة له على براءته عن المعصية.

بقى وجه آخر للهم.

وهو أن يفسر بحديث النفس، وذلك لأن المرأة الفائقة فى الحسن والجمال إذا تزينت وتهيأت للرجل الشاب القوى فلا بد وأن هناك بين الحكمة والشهوة الطبيعية وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات، فتاره تقوى داعية الطبيعة والشهوة وتارة

تقوى داعية العقل والحكمة. فالهم عبارة عن جواذب الطبيعة، ورؤية البرهان عبارة عن جواذب العبودية.

ولنضرب لذلك مثلا من واقع الحياة.

وهو أن الرجل الصالح الصائم فى الصيف الصائف إذا رأى الماء البارد المثلج والعصائر المثلّجة فإن طبيعته تحمله على شربه، إلا أن دينه يمنعه عن ذلك، وهذا لا يدل على حصول الذنب، بل كلما كانت هذه الحالة أشد كانت القوة فى القيام بلوازم العبودية أكمل. ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع، لأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته [1].

(١) الشيخ رشيد رضا فى تفسيره المنار جانبه الصواب حينما أنكر على الجمهور رأيهم من أنها همت به هم فعل، وهم بها هم نفس، ثم تجلى له برهان ربه فترك، فأنكر على الجمهور هذا الرأى، وقال: إنها إنما همت بضربه نتيجة إبائه واهانته لها وهى السيدة الآمرة، وهم هو برد الاعتداء، ولكن آثر الهرب فلحقت به وقدت قميصه من دبر. ورحم الله الأستاذ سيد قطب حينما قال: أن تفسير الهم بأنه هم الضرب ورد الضرب مسألة=

﴿ لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾

الكلام فى البرهان على نوعين:

١ـ نوع نسبوا المعصية إلى يوسف عليه السلام.

٢ـ نوع أثبتوا العصمة ليوسف عليه السلام.

أما الذين نسبوا المعصية إلـى يوسف عليه السلام فقد ذكروا فى تفسير ذلك البرهان أمورا:

أ ـ قالوا إن المرأة قامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت فى زاوية البيت فسترته بثوب فـقال يوسف لم فعلت ذلك؟ قالت أستحى من إلهى أن يرانى على معصية، فقال يوسف أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا أستـحى من إلهى القائم على كل نفس بما كـسبت فو الله لا أفعل ذلك أبدًا قـالوا: فهذا هو

= لا دليل عليها فـى العبارة، فهى مجرد رأى لمحاوله البعـد بيوسف عن هم الفعـل أو الميل إليـه فى تلك الواقـعة. وفيه تكـلف وابعاد عـن مدلول النص.

(فى ظلال القرآن صـ١٩٨١ ط دار الشروق).

البرهان.

ب ـ نقلوا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه تمثل له يعقوب فرآه عاضا على أصابعه وهو يقول له: أتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب فى زمرة الأنبياء؟ فاستحى منه، قال سعيد بن جبير، تمثل له يعقوب فضرب فى صدره فخرجت شهوته من أنامله.

جـ ـ قالوا: إنه سمع فى الهواء قائلا يقول: يا بن يعقوب لا تكن كالطير يكون له ريش فإذا زنا ذهب ريشه.

د ـ نقلوا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن يوسف عليه السلام لم ينزجر برؤية صورة يعقوب حتى ركضه جبريل عليه السلام فلم يبق فيه شىء من الشهوة إلا خرج.

ولما نقل الواحدى هذه الزوايات تصلف وقال: هذا الذى ذكرناه قول أئمة التفسير الذين أخذوا التأويل عمن شاهد التنزيل. فيقال له: إنك لا تأتينا ألبته إلا بهذه التصلفات التى

لا فائدة فيها فأين هذا من الحجة والدليل.

وأيضا فإن تـرادف الدلائل على الشىء الواحـد جائز، وإنه عليـه الصلاة والسـلام كان ممتنـعا عن الزنـا بحسب الـدلائل الأصلية، فلما انضاف إليـها هذه الزاوجر قوى الانزجار وكمل الاحتراز.

والعجب أنهـم نقلوا أن جرواً دخل حجرة الـنبى ﷺ وبقى هناك بغير علمه قالوا: فامتـنع جبريل عليه السلام من الدخول عليه أربعين يوما.

وههنا زعموا أن يوسف عليه السلام حال اشتغاله بالفاحشة ذهب إليه جبريل عليه السلام.

والأعجب أنهم زعـموا أنه لم يمتنع عن ذلك العـمل بسبب حضور جبريل عليه السـلام، ولو أن أفسق الخلق وأكفرهم كان مشتغلا بفاحشة فإذا دخل عليه رجل على زى الصالحين استحيا منه وفر وترك ذلك العمل. وههنا أنه رأى يعقوب عليه السلام

عض على أنامله فلم يلتفت إليه، ثم إن جبريل عليه السلام على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع أيضا عن ذلك القبيح بسبب حضوره حتى احتاج جبريل عليه السلام إلى أن يركضه على ظهره.

فنسأل الله أن يصوننا عن الغى فى الدين والخذلان فى طلب اليقين.

أما الذين أثبتوا العصمة فقد فسروا رؤية البرهان بوجوه:

أ ـ أنه ـ عليه السلام ـ حجة الله تعالى فى تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب.

ب ـ أن الله تعالى طهر نفوس الأنبياء عليهم السلام عن الأخلاق الذميمة، بل نقول إنه تعالى طهر نفوس المتصلين به عنها كما قال تعالى **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** [الأحزاب: ٣٣] فالمراد برؤية البرهان هو حصول تلك الأخلاق وتذكر الأحوال الرادعة لهم عن

الإقدام على المنكرات.

جـ ـ: أنه رأى مكتوبا فى سقف البيت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء : ٣٢].

د ـ : أنـه ـ عليه السلام ـ النبـوة المانـعة مـن ارتكـاب الفواحش، والـدليل عليه أن الأنبيـاء عليهم السلام بعـثوا لمنع الخلق عن القبائح والفضائح. فلـو أنهم منعوا الناس عنها، ثم أقدموا على أقبـح أنواعها وأفحش أقسامها لـدخلوا تحت قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣].

ز ـ: أنَّ الله تعالى عيَّر اليهود بقوله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] وما يكـون عيبا فى حق اليهود كيف ينسب إلى الرسول المؤيد بالمعجزات.

قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ أى كما أريناه برهانا صرفه عما كان فيه كذلك نقيه السوء والفحشاء فى

جميع أموره.

ولكن ما الفرق بين السوء والفحشاء؟

١ ـ أن السوء جناية اليد والفحشاء هو الزنا.

٢ ـ السوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة.

والفحشاء هو الزنا. ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ أى الذين أخلصوا دينهم لله تعالى، ويحتمل أن يكون المراد أنه من ذرية إبراهيم عليه السلام الذين قال الله فيهم ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ﴾ (ص:٤٦).

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ

﴿الْخَاطِئِينَ﴾ .

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾

أى استبقا إلى الباب كقوله تعالى ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: ١٥٥] أى من قومه فالبيان القرآنى باسقاط حرف (إلى) كشف عن نفس يوسف ونفس المرأة فظهر ما يعتمل فى النفسين فهو قد آثر التخلص والهروب بعد أن رأى برهان ربه.. وهى قد عَدَت خلفه لتمسك به، وهى ما تزال فى هياجها الحيوانى، فكان كل منهما يطلب الباب بلهفة شديدة حتى أصبح الباب كأنه يفر منه ويهرب فأصبح السبق بين كل منهما وبين الباب... ليصور البيان القرآنى بذلك الحالة النفسية التى يمر بها كل من يوسف والمرأة.

واعلم أخى القارئ، أن يوسف عليه السلام سبقها إلى الباب بقوة الإيمان وبقوة الرجولية وأراد الخروج والمرأة تعدو من خلفه فلم تصل إلا إلى دبر القميص فقدَّته، أى قطعته طولا

نتيجة جذبها له لتـرده عن الباب.... وتقع المفاجأة: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾... أى صادفا بعلها، تقـول المرأة لبعلها أى زوجها سـيدى، فعند ذلـك خافت المرأة من الـتهمة فسـابقت يوسف بالقول ورمته بالفعل القبيح وقالت لزوجها ما [1] جزاء من أراد بأهلك سوءاً ثم خافت أن يـقتله وهى شديدة الحب له فقالـت إلا أن يسجن أو عذاب أليـم وإنما بدأت بذكر الـسجن لأن المحب لا يـشتهـى إيلام المحبـوب وإنما أرادت أن يسـجن عندهـا يوما أو يومـين ولم ترد السـجن الطويـل وهذه لطيـفة فافهمها[2]. وهناك بعض اللطائف الأخر منها.

(١) يجوز فى (ما) أن تكون نافية، أى لـيس جزاؤه إلا السجن، ويجوز أيضا أن تكون استفهامية يعنى أى شـىء جزاؤه إلا أن يـسجن كما تقول: ما فى الدار إلا زيد.

ويجوز فى (ما) أن تكون موصولة أو نكرة موصوفة.

(٢) فى الآية لطيفة، وهى أن حبها الشديد ليـوسف حملها على رعاية دقيقتين فى هذا الموضع وذلك لأنها بدأت بـذكر السجن وأخرت ذكر العذاب لأن المحب لا يسعى فى إيلام المحبوب. وأيضا لم تقل إن يوسف يجب أن=

١ ـ أنها لما شاهدت من يوسف عليه السلام أنه استعصم منها مع أنه كان فى عنفوان العمر وكمال القوة ونهاية الشهوة، عظم اعتقادها فى طهارته ونزاهته فاستحيت أن تقول إن يوسف عليه السلام قصدنى بالسوء وما وجدت من نفسها أن ترميه بهذا الكذب على سبيل التصريح بل اكتفت بهذا التعريض.

٢ ـ أن يوسف عليه السلام أراد أن يضربها ويدفعها عن نفسه، وكان ذلك بالنسبة إليها جاريا مجرى السوء، فقولها ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ جارٍ مجرى التعريض فلعلها بقلبها كانت تريد إقدامه على دفعها ومنعها، وفى ظاهر الأمر كانت توهم أنه « قصدنى بما لا ينبغى».

= يقابل بأحد هذين الأمرين بل ذكرت ذلك ذكراً كليا صونا للمحبوب من الهلاك وأيضا قالت إلا أن يسجن يوما أو يومين أو أقل على حسب التخفيف (كالحبس الاحتياطى) فأما الحبس الدائم فإنه لا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين كما قال فرعون لموسى حين هدده﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾. [الشعراء: ٢٩].

واعلم أن المرأة لما ذكرت هذا الكلام ولطخت عرض يوسف عليه السلام احتاج يوسف إلى إزالة هذه التهمة فقال﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ وذلك أن يوسف عليه السلام لم يكن يريد أن يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هى ما قالت ولطخت عرضه، احتاج إلى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال ما قال ولم يقل هذه ولا تلك لفرط استحيائه وهو أدب حسن حيث أتى بلفظ الغيبة دون الحضور.

قوله تعالى ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ .

فى هذا الشاهد أكثر من قول:

الأول:

أنه كان لها ابن عم وكان رجلا حكيماً، واتفق فى ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها فقال قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشق القميص إلا أنَّا لا ندرى أيكما قدام صاحبه، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة والرجل

كاذب، وإن كان من خلفه فالرجل صادق وأنت كاذبة، فلما نظروا إلى القميص ورأوا الشق من خلفه قال ابن عمها ﴿ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ أى من عملكن. ثم قال ليوسف أعرض عن هذا واكتمه، وقال لها استغفرى لذنبك.

وهذا قول طائفة عظيمة من المفسرين.

القول الثانى:

وهو أيضا منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير والضحاك: أن ذلك الشاهد كان صبيا أنطقه الله تعالى فى المهد، فقال ابن عباس:

تكلم فى المهد أربعة صغار: شاهد يوسف، وابن ماشطة بنت فرعون، وعيسى ابن مريم، وصاحب جريج الراهب.أ.هـ ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ ﴾..

فلما تبين للزوج حسب الشهادة المبنية على منطق أنها هى التى راودت، وهي التى دبرت الاتهام.... قال الزوج لامرأته

إنه من كيدكن. . . . وهنا تبدو صورة من « الطبقة الراقية» فى الجاهلية قبل آلاف السنين. . . رخاوة فى مواجهة الفضائح الجنسية، وميل إلى كتمانها عن المجتمع، وهذا هو المهم كله:

وقال: ﴿قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

هكذا ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾. . . فهى اللباقة فى مواجهة الحادث الذى يثير الدم فى العروق. والتلطف فى مجابهة السيدة بنسبة الأمر إلى الجنس كله، فيما يشبه الثناء. فإنه لا يسوء المرأة أن يقال لها ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ والتفاته إلى يوسف البرىء: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ فأهمله ولا تُعرْه اهتماما ولا تتحدث به. . . وهذا هو المهم. . . محافظه على الظواهر: وعظة إلى المرأة التى راودت فتاها عن نفسه، وضبطت متلبسة بمساورته وتمزيق قميصه [1] : ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

---

(١) الظلال جـ٤.

فالزوج يؤكد لها أنها صنعت ما صنعت من الخطأ عن تعمد وقصد، لأن الخاطىء من تعمد صنع ما لا ينبغى فهى كثيرة الخطأ والزوج يعرف هذا جيداً أما المخطىء فهو من أراد الصواب فصار إلى غيره،

نسأل الله جل جلاله أن يجنبنا الزلل فى القول والفعل

ويسدل الستار على المشهد وما فيه... وقد صور السياق تلك اللحظة بكل ملابساتها وانفعالاتها ولكن دون أن ينشىء منها معرضا للنزوه الحيوانية الجاهرة، ولا مستنقعاً لـلوحل الجنسى المقبوح.

ياليت كتابنا ينهلون من هذا المعين الصافى حتى يكونوا ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه.

*****

الفصل الثانى

(كلكم راعٍ وكلكم مسؤل عن رعيته)

قال الله تعالى:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النور آية: ٣٠].

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [سورة النور الآية: ٣١].

وقال أيضاً: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ...﴾ [سورة الأحزاب الآية: ٣٣].

والتبرج: هو التزين وإظهار المفاتن وإبراز المحاسن لغير

الزوج، والخروج من البيت مع كشف ما يجب ستره من الصدر والظهر والذراعين والساقين وشعر الرأس والرقبة... إلخ أو لبس الملابس الضيقة والمثيرة التى تكشف عما تحتها، لذا نجد الرسول ﷺ يحدد السن التى يجب أن تلتزم فيها الفتاة فيقول ﷺ لأسماء بنت أبى بكر وقد أقبلت عليه وعليها ملابس رقاق فنراه ﷺ يعرض عنها ويقول لها: « **يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لا يصح أن يرى منها إلا هذا** » وهذا وأشار إلى الوجه والكفين.

والبنت لا بد وأن تتعود لبس الملابس المحتشمة وهى صغيرة فإذا ما بلغت المحيض كان لبس هذه الملابس أمرا عاديا وغير مستغرب عليها لأنها تكون قد اعتادته فى الصغر.

والمرأة فتنة ليس أضر على الرجال منها. إذا أقبلت أقبلت ومعها شيطان وإذا أدبرت أدبرت ومعها شيطان، وتجردها من

بعض ملابسها الشرعية أو لبسها بطريقة تبدى مفاتنها، يسلبها خصائصها وتهبط إلى المستوى الحيوانى يقول (ﷺ): (**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية..** الحديث.)ألا فلتعلم كل امرأة عاقلة أن الإسلام كرمها وحرم جسدها على غير زوجها فلا ينكشف إلا له، ولا تمارس مزاجها الخاص إلا معه وفى ذلك جمال لا نهاية له. أما علمن هؤلاء المتبرجات المتحررات... أن الذى تملكه اليد تعافه النفس والذى لا تملكه اليد تتلهفه العواطف وتشتهيه النفوس.

فجمال الكشف الجسدى جمال حيوانى مادى يهفو إليه الإنسان بحس الحيوان، مهما كان عليه من التناسق والجمال أما الجمال الحقيقى فهو جمال الحشمة والوقار والهيبة والجلال. وهو اللائق بالإنسان. ويهفو إليه بحسه الروحى.

والزينة حلال للمرأة، تلبية لفطرتها. فكل أنثى شغوفة بأن

تكون جميلة والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية ولكنه يهذبها ويضبطها، ويجعلها تتبلور فى الاتجاه بها إلى رجل واحد هو شريك حياتها. لأن سفور المرأة وتعرى جسدها وإظهار مفاتنها ـ سواء بالملابس الضيقة أو الشفافة ـ هو الذى يهيج الوقاحة فى الرجال! أمّا حجابها الذى يبدى حياءها وحشمتها فهو الذى يبعث الرجال على احترامها.

وإن الفتيات اليوم ، بما عليهن من سفور وتبرج يردن أن يرجعن إلى عصر امرأة العزيز، فامرأة العزيز قد راودت سيدنا يوسف عليه السلام ـ وهو الكريم بن الكريم وهو النبى المعصوم ـ بصريح القول وبملئ فيها فقالت له «هيئت لك» والفتيات فى عصرنا هذا يراودنّ الشباب إن لم يكن بالتصريح فبالتلويح وإن لم يكن بملء الفم فبالنظرة الخائنة والحركة المثيرة والزينة المتبرجة (وضع المساحيق والعطور والبرفانات). وإنها

لأشد على الشباب من مراودة إمرأة العزيز لأن كل هذا يؤدى إلى تهييج السعار الحيوانى الساكن فى الشباب وبالتالى يفلت زمام الأعصاب والإرادة.

فإما الإفضاء الفوضوى (الاغتصاب) الذى لا يتقيد بقيد.

وأما الكبح والمنع ويترتب على هذا ـ طبياً ـ أمراض عصبية وعقد نفسية لأنها تكاد أن تكون عملية تعذيب للرجال.

تحكى السيدة صفية بنت شيبة فتقول بينما نحن عند عائشة. قالت: فذكرن نساء قريش وفضلهن. فقالت عائشة: إن لنساء قريش لفضلا. وإنى والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، ولأشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[1]. [سورة النور]

(١) فتحة الصدر فى الجلباب وكانت المرأة فى الجاهلية الأولى تترك هذه الفتحة مفتوحة فى الصدر أما فى الجاهلية الحديثة فيدعون الصدر كله عارياً مسايرة للتقدم فى بلاد الكفر والالحاد وكلما بدت الفتاة أكثر عرياً=

انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم، فيتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابته. فما منهن إمرأة إلا قامت إلى مرطها (١).

فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه.

= واختلطت أكثر بالشباب كلما كانت أكثر حضارة وتقدما فكلما تنازلت عن دينها وعن كشف جسدها كلما كانت أكثر مدنية.... هكذا يقولون أعداؤنا.

ورحم الله القائل:

إيه عصر العشرين ظنوك عصرا نيِّر الوجه مسعِد الانسان

لست نوراً بل أنت (نار) وظلم قد جعلت الانسان كالحيوان

(١) المِرْطُ كساء من خزّ (حرير) أو صوف أو كتان، وقيل الثوب الأخضر وجمعه مروطُ. ،وفى الحديث أنه ﷺ كان يصلى فى مروط نسائه أى أكسيتهن، الواحد مرط يؤتزر به. وفى الحديث أن النبى ﷺ كان يُغَلِّسُ بالفجر فينصرفن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس.

والمرط أيضا: كل ثوب غير مخيط. انظر اللسان ـ مادة مرط حـ٧ صـ٤٠٢ دار صادر

فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتـجرات كأن على رؤسهن الغربان»

وعلماء النفس يقولون: إن شعور الانسان ينقسم إلى مظاهر ثلاثة:

١ ـ إدارك ٢ ـ وجدان ٣ ـ نزوع

ـ مثال ذلك عندما يمشى الانسان فى طريق فيشم رائحة طيبة فيدرك أن فى الطريـق حديقة زهور ثم عندما يراهـا ويشاهدها يجد أثر ذلك فـى نفسه من ثم تنزع نفسـه وتراوده أن يقطف وردة من تلك الحديـقة أو زهرة لكن الشرع يقول لـه انتبه هذه الزهرة ليست ملكك.

فالديـن يمنع الادراك حتـى يمتنع الـوجدان ومن ثم لا يـقع النزوع الذى هو بعينه الجريمة التى تستوجب الردع والعقاب

لذا يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿**ولا تقربوا الزنا..**﴾ ولم يقل ولا تزنوا

وأيضاً: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾

ورحم الله القائل:

كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها

فتك السهام بلا قوس ولا وتـــر

يقول الألوسى فى تفسيره روح المعانى.

إن حواء لما انفـصلت من آدم عمر مـوضعه منه بالـشهوة النكاحية التـى بها وقع الغشيان لظهور التـوالد والتناسل وكان الهواء الخارج الذى عمر موضعـه جسم حواء عند خروجها إذ

لا خلاء فى العالم فطلب ذلك الجزء الهوائى موضعه الذى أخذته حواء بشخصيتها فَحَرَّكَ آدم لطلب موضعه فوجده معموراً بحواء فوقع عليها فلما تغشاها حملت منه فجاءت بالذرية، فبقى بعد ذلك سنّة جارية فى الحيوان من بنى آدم.

●●●●●

الفصل الثالث

العوْرات فى الشريعة الإسلامية

العورات على أربعة أقسام:

١ ـ عورة الرجل مع الرجل.

٢ ـ عورة المرأة مع المرأة.

٣ ـ عورة المرأة مع الرجل.

٤ ـ عورة الرجل مع المرأة.

١ ـ فأما الرجل مع الرجل فيجوز له أن ينظر إلى جميع بدنه إلا عورته؛ وعورته هى ما بين السرة والركبة، والسرة والركبة ليستا بعورة. وعند أبى حنيفة رحمه الله الركبة عورة.

٢ ـ أما عورة المرأة مع المرأة فكعورة الرجل مع الرجل، فلها النظر إلى جميع بدنها إلاَّ مـا بين السرة والركبة، وعند خوف الفتنة لا يجوز؛ولا يجوز المضـاجعة لما روى أبو سعيد الخدرى أنه عليه الصلاة والسلام قال « لا يفضى الرجل إلى الرجل فى ثوب واحد، ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى ثوب واحد. ».

والمرأة الذمية هل يجـوز لها النظر إلـى بدن المسلمـة، قيل يجوز كالمسلمة مع المسلمـة، والأصح أنه لا يجوز لأنها أجنبية فى الدين.

٣ ـ أما عورة المرأة مع الرجل فالمـرأة إما أن تكون أجنبية أو ذات رحم محرم فـإن كانت أجنبيـة فجميع بدنـها عورة، ولا يجوز لـه أن ينظر إلـى شيء منها إلا الـوجه والكفـين، لأنها تحتاج إلـى إبراز الوجه فـى البيع والـشراء وإلى إخراج الـكف للأخذ والعطاء.

والنظر إلى وجه الأجنبية وكفها على ثلاثة أقسام

١ ـ إما أن يكون فيه غرض وليس فيه فتنة.

٢ ـ وإما أن يكون فيه فتنة وليس فيه غرض

٣ ـ وإما أن يكون فيه فتنة وغرض

القسم الأول:

لايجوز أن يتعمد النظر إلى وجه الأجنبية لغير غرض، وإن وقع بصره عليها بغتة يغض بصره، لقوله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾.

وقيل يجوز مرة واحدة إذا لم يكن محل فتنة، وبه قال أبو حنيفة رحمه الله ولا يجوز أن يكرر النظر إليها لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء: ٣٦]

ولقوله عليه الصلاة والسلام لعلى: « ياعلى لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة».

وسُئل ﷺ عن نظرة الفجاءة، فأمر ﷺ بصرف البصر.

ولأن الغالب فى النظرة الأولى أن يقع عفواً قصد أم لم يقصد

القسم الثانى:

أن يكون فيه غرض ولا فتنة فيه وفيه تفصيل:

١ - أن يريد نكاح امرأة فينظر إلى وجهها وكفيها - لما ورد [أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: «انظر إليها فإن فى أعين الأنصار شيئا».

- وقال ﷺ: « **إذا خطب أحدكم المرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها للخطبة**».

ـ وأيضاً خطب رجل امرأة فقال ﷺ: « **نَظَرْتَ إليها؟** » فقلت لا، قال: « **فانظر فإنه أحرى أن يؤدم بينكما** ».

فكل ذلك يدل على جواز النظر إلى وجهها وكفيها إذا أراد أن يتزوجها.

٢ ـ يُنظَرُ إليها عند تحمّل الشهادة ولا يَنْظُر إلى غير الوجه لأن المعرفة تحصل به.

القسم الثالث:

أن ينظر إليها للشهوة وهذا محظور، لقوله ﷺ: «**العينان تزنيان**» وعن جابر قال: « سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة فأمرني أن أصرف بصرى» وقيل مكتوب فى التوراة: النظرة تزرع فى القلب الشهوة، وربَّ شهوة أورثت حزناً طويلاً.

غيـر أنه يجوز لـلطبيـب الأمين النـظر للمـعالجة بقـدر ما تستدعى الحاجة

٤ ـ عورة الرجل مع المرأة:

أ ـ إن كان أجنبياً مـنها فعورته معها ما بـين السرة والركبة، وقيل جميـع بدنه عورة إلا الوجه والكفـين كهى معه، والأول أصح بـخلاف المرأة فـى حق الرجـل، لأن بدن المرأة فـى ذاته عورة بدليل أنـه لا تصح صلاتها مكشوفة الـبدن وبدن الرجل بخلافه.

ولا يجوز للمرأة تـعمد النظر للرجل عنـد خوف الفتنة ولا تكرير النظـر إلى وجهه لما روى عن أم سلمة: أنهـا كانت عند النبـى ﷺ وميمونة إذ أقـبل ابن أم مكتوم فـدخل عليهـا فقال عليه السـلام: «احتجبا منه»، فقلـت: يارسول الله أليـس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال ﷺ: « **أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه** ».

وإن كان محرماً لها فعورته معها ما بين السرة والركبة.

وإن كان زوجها فلها أن تنظر إلى جميع بدنه غير أنه يكره النظر إلى الفرج كهو معها. ولا يجوز للرجل أن يجلس عارياً فى بيت خال ولـه ما يستر عورته لأنه روى أنـه ﷺ سئل عنه فقال ﷺ: « **الله أحق أن يستحى منه**» وروى أنه ﷺ قال: «**إياكم والتعرى فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط، وحين يفضى الرجل إلى أهله**». والله أعلم.

*****

أهم المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ مفاتيح الغيب للامام فخر الدين الشافعى سنة ٥٤٤ ٦٠٦ هـ ط دار الغد العربى.

٣ ـ الفتوحات الإلـهية سليمان بن عمر العميلى الشافعى الشهير بالجمل دار المنار ط عيسى الحلبى.

٤ـ فى ظلال القرآن سيد قطب ـ دار الشروق.

٥ ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى دار الريان.

٦ ـ مع البيان القرآنى فى سورة يوسف ـ لدكتور إبراهيم عوضين.

٧ ـ من نبع القرآن الدكتور محمد رجب البيومى.

٨ ـ لسان العرب ط دار صادر.

٩ ـ روح المعانى للألوسى.

سلسلة كتاب الجيب الإسلامى

١- أم النبى ﷺ.
٢- زوجات الأنبياء الصالحات والخائنات.
٣- مخاصمة الرسول ﷺ لزوجاته.
٤- الزواج النبوى وآداب المباشرة الزوجية.
٥- يوم القيامة كأنك تراه.
٦- اقتربت الساعة.
٧- أسرار حكم وأمثال القرآن والسنة.
٨- الإمام المعتقل أحمد بن حنبل.
٩- حكمة وبلاغة الإمام الشافعى.
١٠- مولد النبى ﷺ .
١١- عجائب لطف الله « أولياء الله».
١٢- أين روحك « أولياء الله».
١٣- كيف تجاور الأنبياء
١٤- مفاتيح معرفة القرآن الكريم
١٥- محاولات اغتيال الرسول ﷺ.
١٦- اغتيال الأنبياء..

الفهرس

كن مع الله وأنت تقرأ سلسلة

كتاب الجيب الإسلامي

١- أم النبي ﷺ
٢- زوجات الأنبياء الصالحات والخائنات
٣- مخاصمة الرسول ﷺ لزوجاته
٤- الزواج النبوي وآداب المباشرة الزوجية
٥- يوم القيامة كأنك تراه
٦- اقتربت الساعة
٧- أسرار وحكم وأمثال القرآن والسنة
٨- الإمام المعتقل.. أحمد بن حنبل
٩- الإمام الشافعي
١٠- مولد النبي ﷺ
١١- أولياء الله.. عجائب لطف الله
١٢- أولياء الله.. أين روحك؟
١٣- كيف تجاور الأنبياء؟
١٤- مفاتيح القرآن الكريم
١٥- محاولات اغتيال الرسول ﷺ

مع تحيات مركز دراسات وأبحاث ابن لقمان



دار ابن لقمان للنشر والتوزيع

تصميم م/ علاء عجوة